الباب الثالث

التداخل العربي – الأفريقي على مر التاريخ، وجدلية هذه العلاقة، ودور مصر في أفريقيا، والدور المتفرد لقائد ثورة يوليو ١٩٥٢ في مساندة حركات التحرر الأفريقي، وإشعال ثوراتها.

الفصل الأول: التداخل العربي/ الأفريقي تاريخيًا، وجدلية العلاقة بين العرب والأفارقة.

الفصل الثاني: دور مصر وثورة يوليو في أفريقيا.

الفصل الثالث: الدور المتفرد لعبد الناصر في مساندة حركات التحرر الأفريقي وإشعال ثوراتها.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

التداخل العربي / الأفريقي ، وجدلية هذه العلاقة (رؤية تاريخية وسياسيّة)

قبل أن نبين أن هناك تداخلًا بين العرب والأفارقة والامتزاج التاريخي بينهما، وجدلية هذه العلاقة، وكيفية فهم الدور المصري في أفريقيا ، ودور عبد الناصر «المتفرد» في إشعال الثورات الأفريقية ، نريد أن نوضح بداءة الوضع الأفريقي على الخريطة العالمية ، وجغرافيتها السياسيّة ، وموقعها الإستراتيجي الهام على النحو التالي:-

تعد قارة أفريقيا من قارات العالم القديم ، والتي شهدت أروع وأعرق الحضارات القديمة في غابر الزمان ومر الدهور ، وهي : «الحضارة الفرعونية» . كما أن أفريقيا من القارات الغنية بمصادر طاقاتها ومعادنها الثمينة : كالماس والذهب؛ ولذلك كان محط أنظار الدول الاستعمارية الغربية ؛ حيث نهبت تلك الثروات واستغلتها أسوأ استغلال وأبشعه ، كما ينضاف إلى ذلك ما قام به الغرب من تجارة العبيد وما درته من أرباحًا طائلة على تلك الدول الغربية [1] .

-فأفريقيا تحتل مساحة جغرافية تزيد على ٣٠.٣٣٥ مليون كم٢ ، وتتكون من ٥٣ دولة منها : ٤٦ دولة واقعة في مجالها «القاري» ، و٧ دول هي عبارة عن

(1) نزار حميد: الواقع العام للقارة الأفريقية ، في مجلة معلومات دولية ، مجلة فصلية ، تصدر عن مركز المعلومات القومي – سوريا ، العدد ٦١ ، السنة السابعة، صيف ١٩٩٩ ، ص٦.

مجموعة جزر ، ومن الدول الأفريقية: ١٠ دول عربية تحتل مساحة جغرافية ٣٣, ١٠ مليون كيلومتر مربع ، أي: نحو ثلث القارة.

- وقد بلغ سكان القارة الأفريقية عام ١٩٩٢ نحو ٦٥٦ مليون نسمة ، وصل في عام ١٩٩٦ نحو ٧٣٥ مليون نسمة ، ويتوقع أن يصل عدد سكانها إلى ١٥١٠ ملايين نسمة في عام ٢٠٢٥ م بزيادة سنوية تقدر بـ ٢٩٪ مقابل ١.٧٪ نسبة الزيادة العالمية.. وتعد القارة الأفريقية الأقل كثافة سكانية على المستوى العالمي؛ حيث تبلغ ٣, ٢٤ نسمة / كم٢ مقابل ٨, ٤٣ نسمة/ كم معدل الكثافة السكانية في العالم[١].

- لا تفتقر القارة الأفريقية إلى الموارد الطبيعية بقدر افتقارها واحتياجها إلى الوسائل اللازمة لاستثمار تلك الموارد ؛ حيث تتمتع القارة الأفريقية باحتياطي هام لمنابع وموارد الطاقة ، ولاسيما اليورانيوم؛ حيث تشكل نسبة احتياطها من الاحتياطي العالمي ٢٥٪ ، ومن النفط ٨٪ ، والطاقة الكهرمائية ٣٥٪ ، والفحم الحجري ٥, ٢٪ .. ويشكل إنتاج النفط «العمود الفقري» للطاقة في أفريقيا ٦٠٪ من إجمالي الطاقة ، والذي يشكل ٨, ٨٪ من الإنتاج العالمي للنفط ، تنتج ٩٠ في المائة منه خمس دول من أفريقيا هي نيجيريا ودولة الجزائر ومصر وأنجولا وليبيا[٢].

- وتتفرد القارة الأفريقية بتنوع ثري من اللغات واللهجات ؛ إذ يوجد فيها

(1) نزار حميد: الواقع العام للقارة الأفريقية ، معلومات دولية ، العدد ٦١ صيف ١٩٩٩، ص٦.

(2) نزار حميد: الواقع العام للقارة الأفريقية ، في مجلة معلومات دولية International Information تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية ، السنة السابعة ، العدد ٦١ ، صيف ١٩٩٩، ص٨.

أكثر من ٢٠٠٠ لغة ولهجة منطوقة ومعروفة ، صنفها علماء اللغة ضمن ١٦ عائلة «لُغويّة»، وبعض هذه اللغات ينتشر – فقط – بين بضعة آلاف من الأفارقة ، فيما بعضها الآخر ينتشر بين عشرات الملايين ، كاللغة العربية ، التي تعد إضافة إلى اللغتين الهواسا Housa والسواحيلية Sawahili من أهم لغات القارة الأفريقية ، وأكثرها انتشارًا.. ويلاحظ – في هذا المضمار – أن معظم الدول الأفريقية تستعمل لغة الدول الأوروبية المستعمرة كاللغة الفرنسية والإنكليزية كلغة رسمية إلى جانب استعمال هذه اللغات المحلية[1].

– هذا ما طرحناه بخصوص اللغة ، أما بخصوص الأديان وانتشارها في القارة الأفريقية ، فيعد الدين الإسلامي أكثر الديانات انتشارًا في أفريقيا ، إذ يدين به نحو ٣٤٠ مليون إنسان، يليه في المرتبة الثانية الدين المسيحي ، والذي يقدر عدد أتباعه من المسيحيين بنحو ٢٦٠ مليون نسمة ، ثم الديانات الوثنية المنتشرة في شرق ووسط غرب أفريقيا.. والجدير بالذكر – في هذا الشأن – أن عدد اليهود في هذه القارة – وفق إحصاءات عام ١٩٩٣ – يبلغ نحو ١٠٧.٠٠٠ نسمة معظمهم يتركز في دول جنوب أفريقيا[2].

–أما بخصوص العلاقة بين العرب وأفريقيا فهي قديمة قدم «التاريخ» ، ولن نكون مغالين في هذا الصدد؛ حيث يتفق معنا العديد من الباحثين في هذا الشأن– إذ يذكر أحدهم ، وهو إحسان هندي في دراسته «التعاون العربي – الأفريقي في نطاق المؤسسات الرسمية» قائلًا: ربما لا نكون أتينا بجديد إذ قلنا أن علاقات التعاون بين العرب والأفارقة قديمة قدم التاريخ نفسه ، وقد دخل

(1) نزار حميد : مرجع سابق ذكره ، ص٦.

(2) نزار حميد : الواقع العام للقارة الأفريقية ، معلومات دولية ، ص٧.

العرب في علاقات تصاهر وتحالف وتجارة مع الأفارقة منذ أقدم العصور ، وإذا أخذنا كلمة «عرب» بالمعنى الواسع للكلمة بمعنى الشعوب التي عاشت في شبه جزيرة العرب ، أو هاجرت منها، بوسعنا أن نرد سكان الجزء الشمالي من أفريقيا جميعًا إلى أصول عربية ، وليس من قبيل الصدفة أبدًا أن الأميرة الفينيقية إليسار (عُليشه) لما اضطرتها الظروف لمغادرة مدينة صور اختارت منطقة تونس في أفريقيا ملاذًا لها ؛ حيث بنت فيها مملكتها الجديدة «قرطاجة»، والأمر نفسه يمكن أن نقوله بالنسبة لهجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة[١].

- فالصلات بين العرب والأفارقة صلات موغلة في التاريخ القديم ، ترجع إلى ما قبل دخول الإسلام إلى «أفريقيا» أو حتى ظهوره بين العرب والأفارقة ، ويستبين ذلك من خلال التبادلات التجارية ، التي كانت تتم بينهم ، إضافة إلى بعض الهجرات الجماعية ، التي قام بها العرب إلى أفريقيا ، وكذلك مصاهرة بعض التجار والمهاجرين العرب للأهالي الأفارقة[٢].

- ومن العلماء – كما أشرنا من قبل – من يذهب إلى أن أصل الأحباش من جنوبي الجزيرة هاجروا إلى العدوة الأفريقية لأسباب كثيرة منها : استيلاء البريثيين على سواحل بلاد العرب الشرقية ، ومن هؤلاء العلماء جلاوزر في كتابه عن «الأحباش»[٣].

---

(1) د. إحسان هندي: التعاون العربي – الأفريقي في نطاق المؤسسات الرسمية ، مجلة معلومات دولية ، تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية ، السنة السابعة ، العدد ٦١، صيف ١٩٩٩، ص١٣.

(2) يحيى عبد المبدي: العلاقات الثقافية العربية- الأفريقية ، الركائز ، القيود ، الآفاق، معلومات دولية، ص٢٤.

(3) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار الهلال ، ص١٢٤

- فمن المعروف أن لفظ «أثيوبيا» يوناني الأصل، ومعناه الوجه المحترق، أو الأسود، وقد أطلق على أرض الحبشة وعلى مناطق واسعة لا تدخل في الحبشة اليوم، تشمل جنوب وسواحل أفريقيا المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي جنوبي بلاد العرب، وهي تقابل لفظ «كوش» الواردة في التوراة، مما يدل - كما يذكر جرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤) على أن الاتصال كان وثيقًا من قديم الزمان بين الشعوب التي تسكن هذه النواحي[١].

- وقد أكد هذه الهجرات العربية وتحركات السكان بين أفريقيا والجزيرة العربية وجود أدلة حاليًا تتمثل في وجود آثار عربية على الساحل الأفريقي الشرقي قبل ميلاد النبي ﷺ، والإسلام ذاته، وهذه الأدلة، والتي وجدت قديمة في أفريقيا قدمها في الجزيرة العربية تقريبًا[٢].

- وقد أدى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي إلى ازدياد وشائج الاتصال العربي الأفريقي؛ حيث ازدادت الهجرات زرافات ووحدانا من الجزيرة العربية إلى أفريقيا؛ حيث تصاهر بعض العرب مع الأفارقة، وبالتالي احتكوا بهم احتكاكًا مباشرًا أو حيث استقرت جماعات عربية مكونة مراكز إشعاعية ذات تأثير وفعالية، فأدت الطرق الصوفية دورًا فعالًا في نشر الإسلام والثقافة العربية في أماكن متعددة من القارة الأفريقية، وتكونت إثر ذلك دويلات وممالك عربية في مناطق متفرقة من القارة، وقد ذكر الباحث يحي عبد المبدي في دراسته «العلاقات الثقافية العربية - الأفريقية» أنه قد «أدى التواصل

(1) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، دار الهلال بدون تاريخ، ص١٢٤.

(2) قاسم الشريف: التغلغل الغربي في أفريقيا، وأثره على العلاقات العربية الأفريقية: معلومات دولية، ص٦٩.

التاريخي والجغرافي والإثني والديني إلى إحداث نوع من العراك الثقافي في صالح العلاقات العربية الأفريقية على مستوى اللغة والأدب والمضامين الفكرية والمعرفية ... إلخ ، الأمر الذي تواصل واستمر حتى بداية العصر الحديث[1].

- وقد أظهرت الحفريات الأثرية في شرق القارة الأفريقية آثارًا لمساجد ترجع إلى العصور الأولى للإسلام ، ومع قيام الدولة الإسلامية وازدياد قدراتها الاقتصادية ، وتطور حركاتها الاجتماعية ازدادت حركة التبادل التجاري والاتصال مع أفريقيا ، واتسع نطاقها ، وحولت الجاليات العربية مراكزها التجارية إلى مدن مثل: دار السلام، ومقديشو ، ومومباسا ، وزنجبار ، وغيرها .. وكان لهذه المدن - كما يذكر الباحث قاسم الشريف - تأثير بالغ على القبائل الأفريقية ، التي ازدادت انتشار الإسلام واللغة العربية بينها ، واختلطت بالمهاجرين العرب ، واختلطت أنسابهم ، ومع مرور الزمن تطورت بين الطرفين علاقات قوية وثقافية مميزة المعالم ، أخذ الجانبان كلاهما نصيبًا وافرًا من الجانب الآخر، وأفرزت قبائل عربية عدّة تعتز بانتسابها للأصل العربي ، وتتحدث لغات غنية بالمصطلحات العربية ، فلا تزال اللغة العربية هي اللغة التي يتحدث بها أكبر عدد من سكان القارة الأفريقية ، كما أن أكثر اللغات الأفريقية المحلية تأثيرًا هما السواحيلية Sawahili في شرق القارة ، والهوسا Housa في غربها ، وكلاهما تأثر بشدة بكل من اللغة العربية والإسلام[2].

(1) يحيى عبد المبدي: مرجع سابق ذكره ، ص٢٤.

(2) قاسم الشريف: التغلغل العربي في أفريقيا وأثره على العلاقات العربية - الأفريقية ، مجلة معلومات دولية ، سوريا، العدد ٦١، عام ١٩٩٩ ، ص٦٩.

– وحينما تدهورت أحوال العالم الإسلامي ، وتدهورت أركانه ، وتقوضت ركائزه اضمحلت الثقافة العربية ، وواكب ذلك انتقال النهضة إلى أوروبا ، وازدهار حضارتها الغربية ، وبدأت تلك الحضارة «الجديدة» تعرف طريقها إلى أفريقيا ودروبها من خلال بعثاتها التبشيرية ، كتمهيد «فعلي» لما تلاها من حملات استعمارية للقارة الأفريقية[1].

– ففي المجال الديني ، ونتيجة لانطلاق حرية الكنائس التبشيرية اعتنق عدد غير قليل المسيحية من الأفارقة بما فيهم بعض المسلمين.. وبعد أن كانت المسيحية محصورة في الكنيسة الأثيوبية التابعة للكنيسة القبطية في «مصر» بدأت الكنائس الأوروبية تتنافس من أجل العمل ، والتبشير داخل الشعوب الأفريقية؛ حتى أصبحت أفريقيا مركزًا مهمًا من مراكز الفكر الديني المسيحي[2].

– وإذا انتقلنا من العصور القديمة إلى العصور الحديثة ، نجد أن جميع المعطيات التاريخية والجغرافية – على حد قول الباحث إحسان هندي – قد خلفت صلات لم تنقطع بين الوطن العربي والشعوب الأفريقية ، فمن حيث التاريخ History يمكن القول أن علاقات وشيجة قد ربطت الوطن العربي مع القسم الأكبر من أفريقيا طيلة عهود الدولة الإسلامية ، وفي عهد أحدث خضع العرب والأفريقيون «معًا» للاستعمار الغربي ، وخاضوا ضده نضالًا طويلًا ومريرًا[3].

(1) يحيى عبد المبدي: العلاقات الثقافية العربية – الأفريقية – الركائز ، القيود ، الآفاق ، مجلة معلومات دولية ، سوريا ، ص٢٤.

(2) يحيى عبد المبدي: مرجع سابق ذكره ، ص٢٤ ، ٢٥.

(3) د. إحسان هندي: التعاون العربي – الأفريقي في نطاق المؤسسات الرسمية – مجلة معلومات دولية International Information – تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، السنة السابعة، العدد ٦١ ، ١٩٩٩، ص١٣.

- ومن الناحية الجغرافية يمكن التذكير بأن هناك عشر دولة عربية في أفريقيا: (مصر / السودان/ جيبوتي / الصومال/ جزر القمر/ ليبيا / تونس/ الجزائر / المغرب/ موريتانيا) من أصل المجموعة العربية ، وعددها اثنان وعشرون دولة ، وأن مساحة هذه الدولة العربية الأفريقية تعادل ١٠ ملايين كم٢ أي: والي ثلاثة أرباع المساحة الكلية للعالم العربي The Arab World ، وثلثي عدد سكانه تقريبًا[١].

- ومن ثم .. نحن نتفق مع الباحث محمد عاشور مهدي أن هناك ثوابت في طبيعة العلاقة العربية الأفريقية بطيئة التغيير والتبديل تسم هذه العلاقة بالتداخل والتزاوج وتربطها بوشائج وعلائق يكون من الصعب تبديلها – وإن حدث ذلك – يمكن العودة إلى «الثوابت» لتصحيح المسار وتقويم معوجه ، وتتمثل هذه الثوابت في الآتي:

١ – **الروابط العرقية** : حيث يتواجد وينتشر السكان ذوو الأصول العربية في معظم دول الجوار الأفريقي ولاسيما في المناطق المجاورة للأقطار العربية ، وهو الانتشار الذي نتج عن اختلاط وتزاوج بين الشعبين العربي والأفريقي[٢].

٢ –**الدين الإسلامي**: وهو أمر لا يحتاج إلى بيان في ضوء حقيقة أنّ ما يقرب من ٨٠٪ من إجمالي سكان الجوار الجغرافي لاسيما في الشمال الأفريقي يعتنقون الدين الإسلامي.. وبالتالي تمثل الرابطة العقيدية/ الإيمانية أحد الثوابت

(١) د. إحسان هندي: مرجع سابق ذكره ، ص١٣.

(2) محمد عاشور مهدي: العلاقات العربية – الأفريقية من النضال المشترك إلى الجمود المؤسسي- معلومات دولية – سوريا ٦١ ، ١٩٩٩ ، ص٣٥.

الأساسية في إطار العلاقات العربية الأفريقية ، وإن تعرضت من آنٍ لآخر لممارسات تعلي من قيم أخرى ، وتتجاهل هذه الرابطة.

٣-**الروابط التاريخية والثقافية**: وتمثل هذه الروابط هي الأخرى أحد «الثوابت» الهامة في العلاقات العربية الأفريقية ، الأمر الذي يجعلها بالفعل أحد أهم المداميك المتاحة للاستخدام ، لدعم الهوية العربية الإسلامية لأقطار الجوار الأفريقي.

٤-**الموقع الجغرافي**: تؤدي الجغرافية السياسية – أيضًا – دورها المهم على طبيعة العلاقات العربية الأفريقية وإمكانات ومعوقات دعم الهوية العربية الإسلامية في بلدان الجوار الجغرافي ؛ حيث تبين تاريخًا أن الدول العربية لاسيما في الشمال الأفريقي قد شكلت المدخل الرئيسي لتدفق المؤثرات الحضارية «المتباينة» إلى داخل القارة الأفريقية[1].

(1) محمّد عاشور مهدي: العلاقات العربية – الأفريقية من النضال المشترك إلى الجمود المؤسسي ، معلومات دولية ، سوريا ، العدد ٦١ ، صيف ١٩٩٩، ص٢٤ ، ٢٥.